الفصل الخامس

الصهيونية

● ترقب اليهود للمعجزة — المركز الروحى لليهود المنفى « Diaspora » جبل صهيون — أحلام اليهود فى العودة الى فلسطين — الصهيونية السياسية فكرة حديثة — البحث عن أسس فلسفية — موسى هس — المسألة اليهودية — هرتزل والدولة اليهودية — خلاف يهودى حول الصهيونية — بنسكر والحل الاقليمى — التحرر النفسى — الاحتماء بالنفوذ البريطانى — مؤتمر بال — وايزمن يضفى على الصهيونية طابعا فلسفيا — برانداييس — احدها عام — كثرة يهود العالم ضد الصهيونية — تويبى وأبا ايبان — معارضة عاتية ضد الصهيونيه فى بريطانيا وفرنسا — تحالف الصهيونية والاستعمار البريطانى — وزارة الخارجية الامريكية ضد وعد بلفور — الحرب العالمية الأولى ترجح كفة الصهيونية — النظام المصرفى الامريكى فى قبضة اليهود الالمان — ابتزاز صهيونى — « Warburg » — أسرة « Herr Warburg Untermeyer » — التنسيق بين برانداييس ووايزمان والرئيس ويلسون — تحول أمريكى رسمى لصالح الصهيونية — السناتور « J.A. Reed » يعارض وعد بلفور — الصهيونية تعد وثيقة الانتداب البريطانى على فلسطين — اللجنة الصهيونية فى القدس — وايزمان يهدد — ثورة شعب فلسطين — لجان التحقيق — بلفور فى فلسطين يرافقه بولسون نيومان — بلفور يتحرك فى فلسطين تحت الحراسة المشددة — المتظاهرون يرمون بلفور بالحجارة — عصبة الامم تجيز وعد بلفور ووثيقة الانتداب على فلسطين — الصهيونية تحقق أهدافها .

* * *

obeikandl.com

الصـــــهيونية

من المعالم الشهيرة فى تاريخ اليهودية قلعة مدينة القدس القديمة المعروفة بجبل صهيون وهو معلم ارتبط فى أذهان اليهود ومشاعرهم بتاريخ عقيدتهم وذكريات ماضيهم البعيد باعتباره المركز الروحى ليهود المنفى فى ترقبهم للمعجزة التى تعود بهم الى فلسطين مرة أخرى ومنه استمدت الصهيونية الحديثة اسمها واتخذ منه دعاتها أساسا فلسفيا لفكرتهم التى تسعى الى تحقيق أحلام اليهودية فى العودة الى الأرض الموعودة عن طريق العمل السياسى والنفوذ الاقتصادى والغزو الحربى والارهاب الفكرى تحت ستار مقاومة نزعة عـــداء السامية وذلك على نقيض المعتقدات السائدة لدى الكثرة الساحقة من يهود العالم الذين كانوا يتطلعون الى العودة من منطلق الاعتقاد فى المسيح المنتظر .

ولعل منشأ الفكرة الصهيونية فى صورتها الحديثه يرجـــع الى الدعوة التى تبناها ثلاثة من رواد الصهيونية الأوائل خلال القرن التاسع عشر وكان لكل منهم تصوره الخاص للفكرة الصهيونية ، وأول هؤلاء موسى هس (١٨١٢ ــ ١٨٧٥) الذى حاول فى كتابه « روما والقدس» (١٨٦٢) أن يجد للصهيونية أسسا فلسفية تجعل منها مذهبا كغيرها من المذاهب التى ظهرت فى القرن التاسع عشر [١] . ويعتبر هس فى نظر الصهيونيين أول من وضع النظرية وحدد معالم الطريق للحـــركة الصهيونية [٢] وكان فى اعتقاده أن فرنسا ــ بما لها من نفوذ فى شرقى البحر المتوسط ــ ستقوم بمساعدة اليهود لاقامة مستعمرات تمتد من السويس الى القدس ومن ضفاف الأردن الى ساحل البحر المتوسط[٣].

---

(١) ابراهيم الحارداو : الصهيونية وعـــداء السامية ، قسم التأليف والنشر ــ جامعة الخرطوم ١٩٧٠ ص ٩ .

(٢) Leo Pinsker, Auto Emancipation . The Zionist Organization of America, Washington D. C. 1944 p. 4.

(٣) L. Stein, The Balfour Declaration, London, 1961 p.p. 11 - 12 .

ثم جاء ليو بنسكر [٤] بكتابه « التحرر النفسى » الذى نشر فى برلين عام ١٨٩٢ ونادى فيه بحل اقليمى للمسألة اليهودية قائلا : « ليس اليهود أمة لأنهم يفتقرون الى أحد المقومات الأساسية للأمة وهى العيش المشترك فى رحاب دولة واحدة • وما دام اليهود يهيمون فى دار الشتات « Diaspora » فانهم لن يستطيعوا تحقيق آمالهم فى العيش كما تعيش الأمم • وعندما حاول اليهود الانصهار فى المجتمعات الأخرى ونبذوا — الى حد ما — قوميتهم ، لم تعترف لهم تلك المجتمعات بحق المشاركة فى الوطن على قدم المساواة ، ولكن أكبر عقبة تحول بين اليهود وبين تحقيق وجودهم القومى المستقل هى عدم احساسهم بالحاجة الى ذلك الوجود المستقل الذى استعاضوا عنه بوحدتهم الروحية بعد زوال كيانهم السياسى [٥] ثم توجه بنسكر الى اليهود بنداء لنبذ ما سماه الفكرة الخيالية التى وقرت فى أذهانهم بأن قبولهم الاستكانة فى دار الشتات هو قدرهم المحتوم [٦] •

ويمكن القول ان الفكرة الصهيونية التى تهدف الى حل المسألة اليهودية عن طريق العمل السياسى المنظم والنشاط الدبلوماسى لم تظهر الا فى نهاية القرن التاسع عشر مع ظهور كتاب « الدولة اليهودية » فى فبراير ١٨٩٦ لتيودور هرتزل (١٨٦٠ — ١٩٠٤) وانعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال (بسويسرا) فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ •

---

(٤) ولد ليو بنسكر فى بولندا عام ١٨٢١ ومات فى روسيا سنة ١٨٩١ . كان طبيبا مرموق المكانة . شارك بقلمه فى أول مجلة يهودية فى روسيا ودعا الى المساواة فى الحقوق بين اليهود والمواطنين الروس وكان من دعاة الانصهار « Assimilation » ولكنه غير رأيه بعد حوادث الاضطهاد التى وقعت على اليهود فى أوديسا عام ١٨٧١ ثم تخلى عن دعوة الانصهار بعد موجة الاضطهاد التى سميت بمذابح سنة ١٨٨١ فى روسيا ضد اليهود واخذ يدعو الى القومية اليهودية باعتبارها حلا للمسألة اليهودية لأن الانصهار لم يعد فى نظره حلا مجديا ما دام اليهود يعيشون بلا وطن تحت مطارق عداء السامية . ومن ثم أصدر كتابه « التحرر النفسى » وأصبح فيما بعد رئيسا لجمعية احباب صهيون فى بلدته •

انظر : The Universal Jewish Encyclopaedia New York 1941 Vol. 8 p. 537.

(٥) Pinsker op. cit. pp. 8 - 9 .

(٦) Pinsker op. cit. p. 18.

لقد كان ميلاد الحركة الصهيونية فى صورتها السياسية فى نهاية القرن التاسع عشر ظاهرة جديدة تختلف اختلافا جوهريا عن فكرة العودة كما تصورها يهود العالم حتى نهاية ذلك القرن وبداية القرن العشرين •

كانت العودة الى فلسطين قبل هرتزل أملا دينيا يتطلع اليهود الى تحقيقه بفعل الارادة الالهية ولم يكن لديهم أدنى تصور لتحقيق العودة فى اطار الفكرة القومية الحديثة تحت راية الوطن القومى وحماية القانون العام • بل كانوا يرون أية مبادرة بشرية لتحقيق العودة بمجهود بشرى ضربا من الاثم (٧) •

لقد سلفت الاشارة الى المحاولات التى بذلت منذ عهد بالمرستون فى القرن التاسع عشر (أنظر الفصل الثانى) لتسلل اليهود الى فلسطين تحت شعار اصلاح أوضاع اليهود فى الشرق برعاية الحكومة الانجليزية وقد ازداد هذا النشاط اليهودى بعد أن حسمت الدول الأوروبية الكبرى النزاع بين محمد على باشا والى مصر والسلطان العثمانى (١٨٣٩ — ١٨٤٠) وعادت سوريا الى دائرة النفوذ العثمانى وكان زعيم حركة التسلل اليهودى الى فلسطين موسى مونتفيور (١٧٨٤—١٨٨٥) (٨) ومن ثم شرع بالمرستون بعد تسوية عام ١٨٤٠ (معاهدة لندن) فى تنفيذ مقترحات مونتفيور ، وكان محور تلك المقترحات تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين لأن ذلك من شأنه أن يخلق لانجلترا مركزا لدعم نفوذها السياسى ورعاية مصالحها الاقتصادية فى سوريا ونشر الحضارة فى ذلك الاقليم لقاء تأييد انجلترا لمطالب اليهود أمام الباب العالى بانشاء مستعمرة يهودية فى فلسطين لأغراض التنمية الزراعية والتجارية (٩) •

---

(٧) Arnold Toynbee, A Study of History (Oxford U. Press) London, 1969 Vol. 8 p. 298.

(٨) Nahum Sokolow, History of Zionism, Longmans, London, 1919, Vol. I pp. 115 , 116 .

(٩) W. T. Young to Viscount Canning F. O. 78 / 501 (Separate) London, 13 Jan. 1842, Enc. 1 to 29. A. M. Hyamson, =

ثم ظهرت حركة « أحباب صهيون » فى روسيا القيصرية (١٨٨٤) اثر موجة الاضطهاد التى اجتاحت اليهود فى عام (١٨٨١ و ١٨٨٢) ولكن كل هذه الحركات كانت مجرد ردود فعل لما واجه اليهود فى أوروبا الغربية وروسيا القيصرية من ضروب الاضطهاد التى عرفت بعـــداء السامية •

وفى الســنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر أثارت قضــية دريفوس الشهيرة (٢٥ أكتوبر — ٢٣ ديسمبر ١٨٩٤) [١٠] اهتماما كبيرا فى العالم الأوروبى ـ اليهودى وبلغت كراهية اليهود ذروتها فى فرنسا أثناء تلك الفترة عندما كانت الهتافات تدوى فى شوارع باريس بسقوط اليهود « a bas les juifs »[١١] وقضية دريفوس هى التى دفعت تيودور هرتزل مراسل الصحيفة النمساوية « Neue Freie Presse » الى الشروع فى اعداد كتابه « الدولة اليهودية » فى صيف عام ١٨٩٥ وبعد فترة من التردد قام هـرتزل بنشر الكتاب فى ١٤ فبراير عام ١٨٩٦ بتشجيع زميله ماكس سيمـن ناردو الذى أصبح ساعده الأيمن بعد مؤتمر بال ، فأثار القضية اليهودية (قضية الاضطهاد والتشرد) على نطاق واسع وقوبل كتابه بالاعراض والنقد فى بعض الدوائر وبالتأييد فى دوائر أخرى وأخيرا استجمع هرتزل قواه ودعا الى عقد المؤتمر

= The British Consulate in Jerusalem London 1939 Vol I, pp. 41 - 46 .

يلاحظ أن اسطورة اقامة قاعدة صهيونية فى فلسطين لنشر الحضارة ورعاية المصالح الانجليزية ضد ما سموه « البربرية الآسيوية »هى نفس الاسطورة التى رددها هرتزل فى كتابه « الدولة اليهـودية » وذكرهـا « C. P. Scot »فى رسالته بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩١٤ الى لويد جورج . انظر :

Herzl, The Jewish State Fifth Ed. London, 1968 p. 30.,

E.D. Blanche, The Balfour Delcaration, Jerusalem, 1940 p. 25 .

(١٠) انظر موجز قضية دريفوس فى مجلة الرسالة (القاهرة) عـــدد ١١٠ بتـــاريخ ١٢ اغسطس ١٩٣٥ ص ١٢٩٠ — ١٢٩٣ للاســـتاذ محمد عبد الله عنان .

(١١) James Parkes, Five Roots of Israel, London, 1964, p. 26 .

الصهيونى فى مدينة « بال » عام ١٨٩٧ وتأسست المنظمة الصهيونية واتخذ المؤتمر قراره الذى جاء فيه أن الصهيونية تهدف الى انشاء وطن لليهـود فى فلسطين تحت حماية القانون العـام [١٢] • ويرى قادة الصهيونية أن أهمية الدور الذى لعبه هرتزل لا تكمن فى اصـدار كتـاب « الدولة اليهودية » بقـدر ما ترجع الى قدرته على التنظيم ودعوته الى عقد أول مؤتمر صهيونى ، ذلك أن شخصية هرتزل كانت موضع نقد اذ وصفت أفكاره عن الصهيونية بالسذاجـة والسطحية ووصف هو بأنه كان يجهل اليهودية وآدابها وثقافتها كما يجهل جذور الحركة الصهيونية التى سبقت دعوته •

ومع أن حركة هرتزل — كغيرها من الحركة اليهودية التى سبقتها — كانت نابعة فى المقام الأول من احساس الجاليات اليهودية بأنها أقليات مشردة ومضطهدة ، فقد حاول دعاة الصهيونية السياسية بعد مؤتمر بال أن يضفوا عليها طابعا فلسفيا عقائديا وزعـم حاييم وايزمان أنه عندما يتحدث عن الصهيونية فانه ينطق بلسان ملايين اليهـود الذين لا يستطيعون التحدث بما تنطوى عليه صدورهم [١٣] ومن السخرية أن يدلى وايزمان بهذا الحديث الى آرثر بلفور فى عام ١٩٠٦ عندما كان يهود العالم ينظرون الى صهيونية هرتزل نظرة ارتياب ولم يكن وايزمان وحده فى هذا الادعاء ولكن كانت تؤازره حفنة من زعماء الحركة الجديدة منهم ناحوم سوكولوف (١٨٦٠ — ١٩٣٦) مؤرخ الصـهيونية والناطق باسمها بعد موت هرتزل وسفيرها فى القارة الأوروبية ومنهم «أحدها عام» (١٨٥٦ — ١٩٢٧) « Asher Ginsberg » فيلسوف الحركة الصهيونية وناقدها ، ومنهم القاضى الأمريكى لوى برانداييس •

ان الصهيونية فى نظر وايزمان هى قوة للحياة والابداع تسرى فى أوصال اليهود وليست حاجة عمياء فى نفس شعب مشرد يبحث عن وطن يؤويه ، ولا يوافق وايزمان على رأى هرتزل الذى يرد منشأ الحركة

---

(١٢) Herzl, op. cit. p. 5.

(١٣) Chaim Weizmann, Trial and Error Hamish Hamilton, London 1950, p. 144.

الصهيونية الى مأساة الاضطهاد والفقر والشتات [١٤] بل يردها الى عزم الشعب اليهودى على الاحتفاظ بما سماه صفاته الخلاقة ونزعته الايجابية .

ويستطرد وايزمان فى مجال آخر فيعرف الصهيونية بأنها عزم الشعب اليهودى خلال عشرين قرنا من التشرد على تنظيم حياته فى صورة جماعية ذات طابع خاص به وحده على أساس من العقيدة التى تربط بين خلود اسرائيل والله اسرائيل وهيمنته على الكون ومن تلك العقيدة تنبثق آمال اليهود القومية فى العودة الى ما سماه موطنهم حيث يلتقون بعد فرقة لممارسة حياة يهودية جديدة فى أرض يهودية [١٥] .

ويخاطب لوى برانداييس [١٦] الاجتماع السنوى « لفرسان صهيون » فى شيكاجو الذى عقد فى الثانى من يناير عام ١٩١٦ قائلا : « انكم فى رأيى لا تستطيعون أن تؤدوا واجبكم اليهودى ان لم تعملوا على دفع الشعب اليهودى الى المرتبة التى تمكنه من خدمة أمريكا والعالم على أفضل وجه وهذا لا يتم الا بتحقيق الحلم الذى راودنا عصورا طويلة وتحقيق دعوات اليهود وابتهالاتهم بأن يكون لهم

---

(١٤) Weizmann, op. cit. p. 223.

(١٥) Weizmann , What is Zionism, The Zionist Organization London, Bureau, London, 1919, p. 4 - 12.

(١٦) «Louis D. Brandeis» أحد دعائم الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية وهو من أصل ألمانى . ولد فى عام ١٨٥٦ ونشأ وتعلم فى ألمانيا . كان من أشهر رجال القانون فى عصره . عينه الرئيس ودرو ويلسون قاضيا بالمحكمة العليا سنة ١٩١٦ . حمل راية الصهيونية فى أمريكا بعد أفول نجمها فى أوروبا قبل الحرب العالمية الأولى وهو المسئول الأول عن تأييد حكومة الرئيس ويلسون لوعد بلفور ، رغم معارضة وزارة الخارجية الأمريكية. زار فلسطين عام ١٩١٩ . وهو القائل : « ان المثل العليا لأمريكا فى القرن العشرين هى المثل التى دعت اليها اليهودية منذ عشرين قرنا »وقد اختاره ويلسون رئيسا للوفد الأمريكى فى مؤتمر الصلح .

انظر : The Universal Jewish Ency. Vol 2, p. 495.

وانظر ايضا : E. Rabinowitz, Justice L. Brandeis, N. Y. 1968, p. 61.

وطن مـرة أخرى يمارسـون فيه حياتهم اليهـودية وفقـا للروح اليهودية (١٧) .

أما « احدها عام » (١٨) الذى يتمتـع باحترام خاص بين قادة الصهيونية الحديثة فيرى أن الحركة الصهيونية يجب أن تستند الى العمل المثمر الذى يعنى بالكيف قبل الكم . وكان يرى أن التحرر النفسى لليهود لا يتم الا عن طريق الترويض النفسى ومن ثم كان يرى فى منظمة « أحباب صهيون » ومؤتمر بال مجرد تجمعات تفتقر الى برامج أساسية تعنى بالتربية والنهضة الروحية التى هى قوام الدولة اليهودية.

ومهمة الصهيونية فى رأى « أحدها عام » تتمثل فى بعث الروح اليهودية وتقوية العاطفة القومية التى ضعفت بين اليهود من جـراء الاضطهاد المرير ، وانقاذهم من النزعة الفردية التى تردوا فيها ، وحثهم على العمل الجاد من أجل بناء أمتهم وهذه مهمة شاقة لا تتحقق بالخطب والعمل الفردى والتعجل لاقتطاف الثمار (١٩) .

لقد أشاد « أحدها عام » بوعد بلفور ولكنه كان يرى أن الصيغة التى ظهر بها الوعد مخيبة للآمال لأنها اكتفت بذكر انشاء « وطن قومى لليهود فى فلسطين » بدلا عن النص الذى اقترحته المنظمة الصهيونية

---

(١٧) Brandeis on Zionism (Collection) Zionist Organization of America Washington D. C. 1942, p. 84.

(١٨) « احدها عام » واسمه الحقيقى « أشر جنزبرج » ، من أشـهر دعاة الفكرة الصهيونية فى جيله . ولد فى روسيا عام١٨٥٦ ومات فى تل أبيب سنة ١٩٢٧ . تميز بين أقرانه بالتعمق فى دراسة اليهودية ووضوح الفكـر وبرز اسمه ناقدا للحركة الصهيونية واختلف مع قادتها فى أهدافهم ووسائلهم ، وكان له راى خاص فى حركة استيطان فلسطين على عهد البارون ادمونـد روتشيلد فى نهاية القرن التاسع عشر . كان يرى أن أسلوب هـرتزل فى العمل لا يحقق اهداف الصهيونية وكان يوجه اهتمامـه الاكبر الى تعبئة الجهود المادية والعقلية والتربية الروحية بين اليهود وهذا فى رايه يتطلب جهدا وصبرا واناة .

انظر : The U.J. Encyc. Vol. 1, P. 135.

(١٩) Achad Ha-am, Essays on Zionism and Judaism Leon Simon.

ترجمه عن العبرية :

G. Routledge and Sons Ltd. London, 1922 pp. 10 — 13.

« باعادة بناء الوطن القومى القديم لليهود » والنص الأول فى رأى «أحدها عام» غير مقبول لأنه يجعل من فلسطين وطنا لليهود والعرب على السواء !! (٢٠) ومع ذلك فانه رحب بتأييد مؤتمر الصلح فى باريس (١٩١٩) لوعد بلفور واعتبر هذا التأييد بمثابة التزام دولى •

هذه طائفة من آراء قادة الصهيونية الحديثة حول الفكرة التى اعتنقوها وعملوا من أجلها فهل تتفق هذه الآراء مع تصور الجاليات اليهودية فى العالم لفكرة العودة الى جبل صهيون وفقا لمعتقداتهم الدينية ؟ يجيب الأستاذ «أرنولدتوينبى» بالنفى القاطع (٢١) ولكن الاجابة من أحد أعلام المؤرخين فى هذا القرن (الأستاذ توينبى) على هذا النحو تثير ثائرة « أبا ايبان » وزير خارجية اسرائيل الأسبق فيرد عليه بمقالة تحمل عنوانا صارخا هو «هرطقة توينبى The Toynbee Heresy » ويقول أن فكرة « العودة » تعتبر فى المصادر الاسرائيلية ارادة الهية وواجبا بشريا (٢٢) • ان توينبى لم ينف أن لليهود حقا فى العودة الى فلسطين لأداء شعائرهم الدينية — وهذا حق ظلوا يمارسونه طوال حياتهم دون أن يعترض طريقهم أحد — ولكنه أنكر على الصهيونية احتلالها فلسطين بقوة السلاح واخراج أهلها منها بغير حق ونهب ممتلكاتهم على نحو ما حدث فى واقع الأمر (٢٣) وذلك تحت ستار « العودة » •

أما المصادر اليهودية نفسها فتقول ان فكرة « العودة » واردة فى كتابهم المقدس ولكن بعض فلاسفة اليهود لايؤمنون بعودة مملكة داوود أو اعادة بناء المعبد أو امتلاك فلسطين مرة أخرى ويرفضون رفضا

---

(٢٠) Achad Ha-am, op. cit. p. 16.

(٢١) Toynbee, op. cit. p. 298.

(٢٢) Abba Eban, The Toynbee Heresy, Israel Institute, Yeshna University, New York. Address Delivered on Jan. 18, 1955.

(٢٣) A. Toynbee, The Middle East. Past and Present An Article Published in the Arab — Israel Impasse Edited by Majidia Khadduri, Robert B. Luce Inc. Washington, 1968 p. 42.

باتا فكرة الوطن القومى لليهود •• وقد قرر مؤتمر الأحبار اليهود فى فرانكفورت (١٥ — ٢٨ يوليو ١٨٤٥) حذف الجزء الخاص بالدعاء للعودة الى فلسطين من التعاليم اليهودية • وفى المؤتمر اليهودى فى فلادلفيا (٣ — ٦ نوفمبر ١٨٦٩) ورد فى الجزء الأول من وثيقة المبادىء التى أصدرها المؤتمر أن الغرض الدينى من عودة بنى اسرائيل هو وحدة كل أبناء اسرائيل فى اعترافهم بوحدانية الله • وأصدر مؤتمر « Pittsburg » (١٦ — ١٨ نوفمبر ١٩٨٥) بيانا مؤيدا لذلك جاء فيه « اننا لم نعد نعتبر أنفسنا أمة بل طائفة دينية ومن ثم فاننا لا نتوقع العودة الى فلسطين » (٢٤) وقال بعض النقاد اليهود: ان الذين أصدروا مثل هذه البيانات لم يفسروا كتابهم تفسيرا صحيحا أو أنهم كانوا يتجاهلون تعاليمه وحتى اذا سلمنا بصحة هذا النقد — وهو موضع شك كبير — فان المعارضة التى واجهتها الصهيونية السياسية ابان ظهورها وخاصة بعد صدور وعد بلفور من الطوائف اليهودية فى أوروبا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لتنهض دليلا قويا على أن صهيونية هرتزل ووايزمان وبراندايس كانت بدعة مستنكرة فى نظر الكثرة من يهود العالم •

كانت المعارضة ضد الصهيونية قوية فى أوروبا الغربية وكان من أبرز المنظمات اليهودية التى قادت تلك المعارضة الحلف الاسرائيلى العالمى الذى تأسس فى فرنسا عام ١٨٦٠ وفيما عدا أسرة روتشيلد وعلى رأسها البارون أدموند (٢٥) كان كل زعماء اليهود فى فرنسا ضد الصهيونية •

وفى بريطانيا حمل لواء المعارضة ضد الصهيونية الاتحاد البريطانى اليهودى برياسة الدكتور « Claude G. Montifiore » وتقدم هذا الاتحاد بمذكرة قوية الى مجلس الحرب البريطانى فند فيها

---

(٢٤) U.J. Encyclopaedia Vol, 12, pp. 666 - 667.

(٢٥) James Malcolm, origins of The Balfour, Delaration, (Unpublished) London, July, 1944 British Museum Reading Room Ref. C.U.P. 1247 C. 28 p. 7.

دعاوى الصهيونية•ونشر مونتفيور مع زميله « David L. Alexander » رئيس لجنة النواب من اليهود البريطانيين مقالا ضد الصهيونية فى صحيفة التايمز اللندنية بتاريخ ١٧ مايو ١٩١٧ وأثار المقال ضجة كبرى دفعت وايزمان الى الرد عليهما فى نفس الصحيفة بتاريخ ٢٨ مايو ١٩١٧ (٢٦) •

وقد حاول وايزمان فى مذكراته أن يقلل من أهمية هذه المعارضة فوصف القائمين بها بأنهم قلة من اليهود الأثرياء والرجعيين دعاة الانصهار « Assimilationists » (٢٧) • غير أن الخلاف بين الصهيونية فى بريطانيا والمعارضين لها من اليهود البريطانيين لم يكن بهذا القدر المتواضع كما زعم وايزمان • لأن الخلاف بلغ حدا دعا الى عقد اجتماع بين الفريقين فى ١٤ ابريل ١٩١٥ للحوار وللوصول الى اتفاق وكان وفد الحركة الصهيونية يضم دكتور جاستر وتشلنوف وسوكولوف وجوزيف كوين وهربرت بنوبتش وتكون الوفد المعارض للصهيونية من دافيد الكسندر وكلود مونتفيور ولوسين وولف ولم يصل الطرفان الى اتفاق (٢٨) •

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فلم تجد الصهيونية استجابة تذكر قبل ظهور لوى برانداييس • لقد توجه هرتزل الى يهود أمريكا بدعوة فى يونيو عام ١٩٠١ يحثهم على التضامن معه لحل القضية اليهوديةويذكرهم بالعبودية التى يرسف فيها اخوانهم فى أوروبا ولكن يهود أمريكا قابلوا دعوته بالفتور ووصف بعضهم الصهيونية بأنها ازعاج لسلام الذهن وعقبة أمام استيعاب اليهود فى البيئة الديموقراطية وأنها فوق ذلك لا تتفق وولاءهم لأمريكيتهم وأنها تعيد الى أذهانهم ذكريات يودون أن يسدلوا عليها الستار (٢٩) •

---

(٢٦) Ed. D. Blanche op. cit. p. 31.

(٢٧) Weizmann,, op. cit., p. 200.

(٢٨) I. Friedman, The question of Palestine, 1914 — 1918, London, 1973, P. 35.

(٢٩) Samuel Halperin, The Political World of American Zionism, Wayne State University Press, Detroit, 1961, p. 10.

أما اليهود التقليديون فنبذوا الفكرة الصهيونية لأنها لا تتفق وفكرة العودة كما وردت فى تعاليمهم الدينية وواجهت الحركة العمالية الأمريكية فكرة الصهيونية بالاعراض باعتبارها حركة رجعية [٣٠] •

ان هذه المعارضة التى أبداها يهود العالم ضد الصهيونية وضد وعد بلفور هى التى دفعت المسئولين فى الحكومة البريطانية الى اضافة بعض التحفظات فى صيغة التصريح وهى ذلك الجزء الذى نص على ألا تضار « الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى » [٣١] وفى هذا التحفظ اعتراف بخطورة تلك المعارضة •

وحتى فى الدوائر الرسمية كانت هناك معارضة لا يستهان بها ضد الصهيونية فى كل من لندن وواشنطون وباريس وكان قائدالمعارضة فى مجلس الوزراء البريطانى ضد وعد بلفور أدوين مونتاجو وهو من أصل يهودى • لقد وقف مونتاجو ضد الصهيونية منذ أن قدم هربرت صمويل مذكرته عن مستقبل فلسطين فى يناير عام ١٩١٥ الى مجلس الوزراء البريطانى وأثار فيها أهمية فلسطين الاستراتيجية وضرورة وضعها تحت نفوذ بريطانيا بعد نهاية الحرب واقامة دولة يهودية فيها لحماية المصالح البريطانية [٣٢] • ففى رسالة وجهها فى ١٦ مارس عام ١٩١٥ الى هربرت اسكويث رئيس الوزراء البريطانى فند مونتاجو الزعم القائل بضرورة استيلاء بريطانيا على فلسطين من أجل الدفاع عن مصر وقال ان المصلحة الكامنة خلف هذا الاقتراح لا تعدو أن تكون آخر الأمر انشاء دولة يهودية فى فلسطين تحت الحماية البريطانية وهذه فى اعتقاده الراسخ سياسة من شأنها أن تؤدى الى كارثة [٣٣] •

وكان قادة الصهيونية فى بريطانيا يخشون أن تؤدى معارضة

---

(٣٠) Halperin, op. cit., P. 11

(٣١) Ed. D. Blanche op. cit. P. 8.

(٣٢) Stein, op. cit., PP. 103 — 108.

(٣٣) I. Friedman, op. cit., pp. 22 — 24

مونتاجو الى القضاء على **وعد بلفور** [٣٤] **فى مهده** ولكنهم وجدوا تأييدا رسميا قويا وخاصة بعد التغيير الوزارى الذى شهدته العاصمة البريطانية اثر استقالة هربرت اسكويث رئيس الوزراء فى ٥ ديسمبر ١٩١٦ واسناد رئاسة الوزارة الى دافيد لويد جورج ووزارة الخارجية الى آرثر بلفور • وكان اسكويث معروفا بأنه لم يكن من مؤيدى الفكرة الصهيونية ولا الوطن القومى لليهود بينما كان لويد جورج وبلفور من أقوى مؤيدى الصهيونية ومن أكثر المعجبين بوايزمان وقد ذكر وايزمان أن مذكرات لويد جورج توحى للقارىء بأن وعد بلفور كان بمثابة مكافأة لوايزمان لقاء الخدمة التى أسداها لبريطانيا [٣٥] • ومع ذلك فان معارضة مونتاجو كانت مصدر قلق عظيم لمؤيدى الصهيونية الذين حاولوا أن ينالوا منه بالطعن فى سلامة مقصده وذهبوا الى تفسير عدائه للصهيونية بأنه نابع من عقدة انتمائه اليهودى ومن دافع المحافظة على مركزه الشخصى ومستقبله السياسى [٣٦] ولكن يبدو أن هناك اعتبارات سياسية هامة دفعت مونتاجو الى اتخاذ هذا الموقف وهى ادراكه للنتائج الخطيرة التى قد يتمخض عنها اصدار الوعد فقد روى عنه أنه قال بعد سماعه اعلان وعد بلفور وهو فى الهند :

« لقد حاولت الحكومة (البريطانية) أن تقيم شعبا لا وجود له وأثارت قلق العالم الاسلامى بأسره دون أن يكون هنالك ما يوجب الاثارة » [٣٧] • ولا شك أن التجربة التى خاضتها بريطانيا مع العالم العربى والاسلامى بعد اعلان وعد بلفور أثبتت أن مونتاجو كان أرحب أفقا وأبعد نظرا من أقرانه فى مجلس الوزراء البريطانى الذين ساروا فى ركاب الصهيونية وذلك فضلا عن أن وجهة نظر مونتاجو فى هذا الصدد تتفق وما ذكره السير رونالد ستورز فى مذكراته (انظر الفصل الثالث) من أن السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الأولى كانت تخشى غضبة عشرات الملايين من المسلمين فى الهند

---

(٣٤) Stein, op. cit. p. 496.
(٣٥) Weizmann, op. cit. p. 192
(٣٦) Stein, op. cit. p. 498.
(٣٧) Stein, op. cit. p.p. 500 - 501 .

ودعاة الوحدة الاسلامية فى مصر • واذا كانت الحكومة البريطانية لم تصغ الى مونتاجو وهو يحذرها قبل ارتكاب الخطأ فقد اضطرت الى الاستماع الى خيرة علمائها وممثليها السياسيين وهم ينحون عليها باللائمة بعد وقوع الكارثة •

لقد تحدث ممثل بريطانيا « Sir Ormsby - Gore » فى اللجنة الدائمة لشئون الانتداب سنة ١٩٣٧ عن فشل السياسة البريطانية تجاه فلسطين والعالم العربى وعن الأسس الخاطئة التى استندت اليها الحكومة البريطانية فى اصدار وعد بلفور فقال :

« كانت السياسة البريطانية فى فلسطين منذ اعلان وعد بلفور وحتى سنة ١٩٣٧ قائمة على أساس تنفيذ وعد بلفور بانشاء الوطن اليهودى وكان مبعث هذه السياسة الاعتقاد بأن العرب واليهود سوف ينسون الخلاف بينهم فى غضون هذا القرن وينصهرون فى شعب واحد لأنهم ينحدرون أصلا من سلالة واحدة ويتصل نسبهم بابراهيم الخليل (عليه السلام) وقد أثبتت التجربة البريطانية خلال سبعة عشر عاما (١٩٢٠ — ١٩٣٧) فشل تلك السياسة القائمة على هذا الافتراض» (٣٨)
ويمضى ممثل بريطانيا فى حديثه قائلا « ان سياسة القمع فى فلسطين من شأنها أن تؤدى الى الزج ببريطانيا فى صراع مع المسلمين بل فى صراع بين المسلمين من جانب وبريطانيا واليهود فى جميع أنحاء العالم من ناحية أخرى • انها لمأساة •• لقد كان العالم المسيحى فى العصور الوسطى يتخذ من اليهود موقفا لا نستطيع أن ننظر اليه بعين الرضا بينما كان العالم الاسلامى بوجه خاص يعامل اليهود معاملة ودية فى اسبانيا وفى الشرقين الأدنى والأوسط ، وعندما أخرج اليهود من اسبانيا لم يجدوا ملاذا يسكنون اليه بأعدادهم الكثيرة الا فى بغداد وغيرها من البلاد العربية • أما اليوم (١٩٣٧) فان الجاليات اليهودية

---

(٣٨) League of Nations, Permanent Mandates Commission Minutes of the Thirty-second (extraordinary) session Held at Geneva, 30 - 7 to 18 - 80, 1937. Geneva, 1937, pp. 16 - 17.

فى تلك البلاد تواجه خطرا عظيما بسبب فلسطين ومن المحتمل أن تسوء العلاقات الى حد ينذر بالخطر بين اليهود وبين المسلمين فى العالم كله ما لم نجد حلا لقضية فلسطين » (٣٩) .

وقال العـــالم البريطـــانى الدبيـــلوماسى «D. G. Hogarth» « ان وعد بلفور صدر استنادا الى أفكار خاطئة ومصدر الخطأ أن الحكومة البريطانية فى عام ١٩١٧ لم تدرك أن الشعب العربى لم يعان من اضطهاد الأتراك بالقدر الذى يدفعه الى التحرر اذا كان ثمن الحرية هو الخضوع لسيطرة أجنبية جديدة » (٤٠) .

ويأخذ هوجارث على الحكومة البريطانية أنها أخفت عن العرب المعنى الحقيقى لوعد بلفور زهاء خمس سنوات فلم توضح لهم الا فى سنة ١٩٢٢ أن وعد بلفور لا يعنى سيطرة اليهود على فلسطين (٤١) ولكن هوجارث يستدرك قائلا انه « لم يكن فى استطاعة بريطانيا أن تصدر مثل هذا الايضاح فى سنة ١٩١٧ لأنها لو فعلت ذلك لفقدت تأييـــد الصهيونية » (٤٢) .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية كان وزير الخارجية « روبرت لانسنج » على رأس المعارضين لوعد بلفور ونصح الرئيس ويلسون ألا يخضع لضغط الصهيونية الأمريكية (ممثلة فى لوى برانداييس) لالزام الحكومة الأمريكية بتأييد الوعد وكان لانسنج يستند فى تقديم هذا النصح الى أسباب قوية منها أن أمريكا لم تكن فى حالة حرب مع تركيا وأنه ليس هناك اتفاق بين اليهود أنفسهم لانشاء وطن خاص بهم وأن وضع الأرض المقدسة تحت السيطرة الكاملة لليهود سوف يثير

---

(٣٩) League of Nations, op. cit. p. 17

(٤٠) مقدمة هوجارث لكتاب :

Philip Graves, Palestine, The Land of Three Faiths, London, 1923 p. 5 - 6.

(٤١) يشير المؤلف هنا الى الكتاب الذى أصدره ونستون تشرشل فى عام ١٩٢٢ ولكن الواقع أن وعد بلفور كما فهمته الصهيونية والحكومـــة البريطانية كان يعنى سيطرة اليهود على فلسطين ولكن فى المدى البعيد عندما يحرز اليهود الكثرة العددية من السكان عن طريق الهجرة .

(٤٢) Philip Graves, op. cit. p. 6.

غضب الطوائف المسيحية [٤٣] ولم يكن وزير الخارجية الأمريكى وحده ضد الصهيونية وانما كان يقف الى جانبه الكولونيل « هاوس» مستشار الرئيس ويلسون ومن أقرب المقربين اليه وهو الذى أقنع ويلسون بالتريث قبل اعلان تأييد الولايات المتحدة لوعد بلفور وحال دون تعيين برانداييس نائبا عاما فى ادارة الرئيس ويلسون [٤٤] .

ورغم المحاولات التى بذلها سوكولوف وجيمس مالكولم مع الحكومة الفرنسية فى ابريل سنة ١٩١٧ ومقابلة سوكولوف لوزير خارجية فرنسا « ستيفن بيشون » فى ١٩ فبراير ١٩١٨ فان الحكومة الفرنسية لم تلتزم رسميا بتأييد وعد بلفور وأصدرت بيانات اتسمت بكثير من التحفظ والحذر حول سياستها ازاء فلسطين [٤٥] ولا شك أن المنافسة بين بريطانية وفرنسا فى الهلال الخصيب واتفاقية « سايكس — بيكو » كانت من العوامل الهامة فى تحديد موقف الحكومة الفرنسية من وعد بلفور والوطن القومى لليهود . وفى مؤتمر سان ريمو (٢٠ ابريل ١٩٢٠) أعلن ممثلو الحكومة الفرنسية أن فرنسا لم تصدر أى تأييد رسمى لوعد بلفور [٤٦] .

ولم تكن حكومة ايطاليا أقل تحفظا فى تأييد الصهيونية من الحكومة الفرنسية ولكنها استجابت أخيرا للضغط الصهيونى الذى استعان بنفوذ بريطانيا والرئيس الأمريكى ويلسون وأصدرت بيانا فى مايو عام ١٩١٨ أعدت صياغته على غرار وعد بلفور وكان ذلك بعد الرسالة التى وجهها سوكولوف الى السفير الايطالى فى لندن بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩١٨ .

اذا كانت المعارضة ضد الحركة الصهيونية قد بلغت هذا المدى من القوة والاتساع بين اليهود أنفسهم قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى فكيف تيسر للصهيونية أن تشق طريقها الى أعلا مواقع النفوذ السياسى فى لندن وواشنطون لتحول المعارضة الى تأييد ولتصور

---

(٤٣) Stein, op. cit. pp. 593 — 594

(٤٤) E. Rabinowitz op. cit. pp. 38 — 39

(٤٥) Stein, op. cit., p. 590

(٤٦) Stein op. cit. p. 592

الباطل الصهيونى حقا والحق العربى باطلا ثم تملى على مؤتمر الصلح فى باريس عام ١٩١٩ شروطها لانشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين رغم أنف الكثرة العربية فى فلسطين ورغم أنف الكثرة اليهودية التى وقفت ضد الحركة الصهيونية ؟

لا شك أن ظهور وايزمان فى لندن وبرانداييس فى واشنطون وصلتهما الشخصية بالدوائر السياسية العليا فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية كان من العوامل الهامة فى هذا التحول لمصلحة الحركة الصهيونية • ولكن ما كان لقادة الحركة الصهيونية فى لندن وواشنطون أن يحققوا هذا النجاح لو لم تهيىء لهم الحرب العالمية الأولى الظروف المواتية • كان الموقف الحربى فى الجبهة الغربية ينذر بالخطر فى عام ١٩١٦ ومطلع عام ١٩١٧ بالنظر لحلفاء وخاصة الجزر البريطانية التى أخذت تواجه خطرا متزايدا من الغواصات الألمانية وحصارا تزداد وطأته يوما بعد يوم وذلك تنفيذا للقرار الذى اتخذته القيادة الألمانية فى يناير ١٩١٧ بتوجيه ضربة قاضية (٤٧) لبريطانيا قبل أن تهب الولايات المتحدة لنجدتها • ولكن الحلفاء كانوا يعانون مشكلة خطيرة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وهى اتجاه الرأسمالية اليهودية فى أمريكا الى تأييد ألمانيا فى وقت كان الحلفاء يتطلعون فيه الى مزيد من الدعم المالى الأمريكى لتمويل الحرب •

لقد كان النظام المصرفى الأمريكى فى قبضة اليهود الذين ينحدرون من أصل ألمانى(٤٨) وكان هؤلاء حلفاء لا يستهان بهم لألمانيا • كذلك انحاز عدد كبير من الصحف فى أمريكا وكافة الصحف المسائية تقريبا الى جانب الألمان وكان من أسباب هذا الاتجاه أن ألمانيا تحارب روسيا القيصرية التى أذاقت اليهود مر الاضطهاد وكانت روسيا تحارب فى صف الحلفاء • كان من أشهر الأسر اليهودية الألمانية أسرة « Warburg » وأسرة « Untermeyer » ومستر « Jacob Schiff » (٤٩)

---

(٤٧) D. Thomson, Europe Since Napoleon, p. 527

(٤٨) Friedman, op. cit. p. 40

(٤٩) Friedman, op. cit. pp. 42 — 63

وكان « Herr Warburg » أقوى عضو فى اتحاد البنـوك المركزية الأمريكية ويتمتع بنفوذ عظيم لدى وزارة الخزانة الأمريكية •

وقد أشار « Richard Gotthell »أحد الأساتذة الصهيونيين فىجامعة كولومبيا الى أثر النفوذ اليهودى فى الولايات المتحـدة فى رسالته المؤرخة ١١ مارس سنة ١٩١٦ الى « Lucien Wolf » قائلا « ان نفوذ اليهود الألمان من رجال المصـارف واسع للغاية وحتى الصـهيونيين المقيمين فى ألمانيا قاموا بحث رفاقهم هنا — أى فى أمريكا — لتأييد القضية الألمانية » (٥٠) وكان « Gotthell » عضوا فى لجنة الحقـوق الأمريكية التى تسعى الى اقناع الولايات المتحدة للوقوف الى جانب الحلفاء ضد ألمانيا ومن ثم أجرى «جوتيل» اتصالات مع السفير البريطانى فى واشنطون ليبذل مساعيه لدى الحكومة البريطانيه حتى تمارس نوعا من الضغط على حليفتها روسيا لتخفف من اضطهاد اليهود حرصا على تأييد اليهود الألمان فى أمريكا لقضية الحلفاء • وفى الوقت ذاته كان السفير الأمريكى فى القسطنطينية «Mr. Oscar Straus» يقوم بنشاط مماثل ، وكان محور تلك المساعى تأمين رؤوس الأموال اليهودية نظرا لأهميتها فى تمويل الحرب وخاصة بالنسبة لبريطانية التى ظل اعتمادها على القروض الأمريكية فى تصاعد مطرد (٥١) •

لقد بدأ التحول الرسمى لصالح الصهيونية فى الولايات المتحـدة الأمريكية بانتخاب لوى برانداييس — وهوأيضا منأصل ألمانى — رئيسا للجنة التنفيذية التمهيدية للشئون الصهيونية عام ١٩١٤ ، وفى عام ١٩١٦ عين قاضيا للمحكمة العليا وباعتلائه منصة القضـاء الأمريكى وتوثيق صلته الشخصية بالرئيس ودرو ويلسون كسبت الصهيونية عددا من الشخصيات المرموقة فى مراكز قيادية منهم «Felix Frankfurter» أستاذ القانون بجامعة هارفارد و « Julian Mack » القاضى بمحكمة الاستئناف والفيلسوف«Horace M. Kallen» والكاتب «Lincoln Kirstein» ورجـل الأعمـال «Nathan Straus» وصاحـب

---

(٥٠) Friedman, op. cit. pp. 40 — 41

(٥١) Friedman, op. cit. p. 63

دار النشر « Ugene Meyer » ومن ثم أصبحت الصهيونية بفضل نشاط برانديس ونفوذه الرسمى والشخصى تجمعا سياسيا تفتحت أمامه أوسع منافذ الاتصال بقمة الجهاز السياسى فى الولايات المتحدة الأمريكية (٥٢) وقد وضح أثر العلاقة بين برانديس وويلسون فى اختيار برانديس من قبل الرئيس ويلسون ليكون رئيسا للوفد الأمريكى فى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ وكان هذا الاختيار مؤشرا نحو اتجاه ويلسون للوقوف رسميا الى جانب الصهيونية (٥٣) كذلك وضحت علاقة فرانكفورتر وويلسون فى المراسلات التى دارت بينهما والتزم فيها ويلسون — أمام الحاح فرانكفورتر — بادراج وعد بلفور فى معاهدة الصلح .

وعندما كثف وايزمان نشاطه فى لندن مع المسئولين البريطانيين فى النصف الأول من عام ١٩١٧ لاقناعهم باصدار وعد بلفور كان هناك تنسيق كامل بينه وبين برانديس ، فقد بعث وايزمان فى ٨ ابريل عام ١٩١٧ بتقرير واف الى برانديس تناول فيه الصعاب التى تواجهها فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين وموقف فرنسا منها وناشد برانديس أن يحصل على تأييد لحكومة الأمريكية ويهود أمريكا لفكرة فلسطين اليهودية تحت الحماية البريطانية (٥٤) .

ولعل اجتماع برانديس بالرئيس ويلسون فى ٦ مايو سنة ١٩١٧ كان استجابة لرسالة وايزمان فعى ذلك الاجتماع شرح برانديس للرئيس الأمريكى السياسة الصهيونية والمشاكل القائمة بين فرنسا وبريطانيا حول سوريا وأثرها عى مستقبل الوطن اليهودى وقد أكد له ويلسون أنه يؤيد الصهيونية وأنه سيذيع بيانا فى الوقت المناسب بعد أن يعرف وجهة النظر الفرنسية وأنه يترك اعداد الخطوط العامة للبيان وصياغته لبرانديس نفسه (٥٥) .

---

(٥٢) Halperin, op. cit. pp. 11 — 12

(٥٣) Rabinwitz, op. cit., p. 61

(٥٤) Weizmann, op. cit. p. 244

(٥٥) Rabinowitz, op. cit.,p. 63.

وعندما صدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ كسبت الصهيونية فى الولايات المتحدة مزيدا من التأييد وتوجت مساعى برانديس بموافقة الكونجرس الأمريكى على وعد بلفور فى ٣٠ يونيو عام ١٩٢٢ وكان ذلك فى نظر الصهيونيين الأمريكيين انتصارا لفكرتهم على الرأى العام الأمريكى وبشيرا بقرب ميلاد الدولة اليهودية على الرغم من أن زعامة برانديس للصهيونية اليهودية انتهت بعد ذلك بوقت قصير اثر خلافات داخلية وآلت زعامة الحركة الى وايزمان فى لندن بينما أصبحت مهمة الصهيونية الأمريكية قاصرة على جمع الأموال لفلسطين (٥٦) وهى مهمة خطيرة •

وجدير بالذكر أن مشروع قرار تأييد وعد بلفور من قبل الكونجرس الأمريكى قوبل بمعارضة قوية من بعض أعضاء لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب الأمريكى لأن القرار يمثل فى نظرهم انتهاكا خطيرا لحقوق الشعب الفلسطينى • وقاد هذه المعارضة السناتور « James A. Reed » فى اجتماعات اللجنة التى عقدت فى يومى ١٨ و ٢٠ ابريل عام ١٩٢٢ برياسة « Sterhen G. Porter » لمناقشة قرار مجلس النواب رقم ٥٢ الخاص بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين (٥٧) وقد وردت مداولات الأعضاء فى اجتماع يوم ١٨ ابريل على النحو التالى :

مستر كوناللى « Mr. Connally » : من البديهى أن النظرية كلها تستند الى ما يدعيه الشعب اليهودى أن له حقا فى فلسطين ولكن من الواضح أيضا أن السكان الحاليين لتلك البلاد ظلوا يقطنونها منذ

---

(٥٦) Halperian op. cit., pp. 12 — 13

(٥٧) Eastablishment of a National Home in Palestine, Hearing Before The Committee on Foreign Affairs House of Representative Sixty — Seventh Congress second Session on H. Con. Res. 52.

Expressing Satisfaction at The Re-creation of Palestine as the National Home of The Jewish Race, Washington, 1922, pp. 36 - 41. Government Printing Office.

قرون كثيرة فهل هناك ما يعطى الأسلاف الأوائل الذين عاشوا فى تلك الأرض حقا أكبر من حق الآباء والأجداد الذين جاءوا من بعدهم ؟

مستر كوكران « Mr. Cockran »: ليس هناك نزاع بين أهل تلك البلاد • ان اقتراحك يحمل بين طياته الاجابة على سؤالك • ان أولئك اليهود لا يسعون الى امتلاك الأرض الا عن طريق الشراء •

مستر كوناللى : انهم يودون الحصول عليها بحكم الايثار الذى يريدون الحكومة أن تسبغه عليهم •

مستر ريد « Mr. Reed » : فى اعتقادى أن لنا مبدأ هو المبدأ الأمريكى ولذلك فاننى لا أرضى لكم أن تؤيدوا هذا القرار لأنه قرار لا يشبه أمريكا « Un American » ان جميع الناس سواسية أمام القانون فاذا فضل واحد منهم على الآخرين فقد انتفت المساواة أمام القانون •

الرئيس : يبدو لى من حديثك أنك تعتقد أن وعد بلفور يمثل انتهاكا خطيرا لحقوق شعب فلسطين •

مستر ريد : لتسعة أعشر شعب فلسطين • واذا لم يكن قصدى واضحا فان وجودى فى هذا الاجتماع يصبح عبثا •

الرئيس : ان اجازة هذا القرار فى رأيك تعنى ضمنا الموافقة على قرارات عصبة الأمم فى سان ريمو •

مستر ريد : بالضبط •

الرئيس : هل هذا يعنى — وفى هذه الحدود — أن الحكومة الأمريكية أصبحت ملتزمة بسياسة عصبة الأمم ؟

مستر ريد : لست خبيرا فى القانون الدولى ولكن مشروع القرار الذى تقدم به السناتور « Lodeg » يذكر وعد بلفور بصورة قاطعة وهذه قرارات تسير جنبا الى جنب • اننى أعتقد أن الغرض من هذا العمل هو دفع أمريكا لتقف مع الدول الأجنبية فى تأييدها لوعد بلفور وهذا فى رأيى أمر جد خطير لأن وعد بلفور ليس أمريكيا (٥٨) •

---

(٥٨) Hearing Before The Committee on Foreingn Affairs, op. cit., p. 36

وفى موضـــع آخر من المداولات قال مستر ريد : لقـــد هزنى القرار هزاً عنيفاً لأنى أعتقد أنه من الخطأ أن تؤيد بلادنا وعدا كهذا • وانى لأذكر أن « Mr. L. Lipsky » تحدث عن تحويل فلســطين الى وضع شبيه بالوضع فى سويسرا ولكن الفكرة الصهيونية لا تهدف الى ذلك قط • فالوضع فى سويسرا يختلف تمام الاختلاف ، وأضرب مثلا بما قاله أحد أعضاء المكتب التنفيذى الصهيونى فى فلسطين « Mr. D. Eder » أمام احـــدى لجان التحقيـــق التى شـــكلها هربرت صمويل (لعله يعنى لجنة هايكرافت) ، فقد قال دكتور « Eder » : « انه لن يكون فى فلسطين سوى وطن قومى واحد هو الوطن اليهودى ، وأنه لن يكون هناك مجال لمساواة العرب باليهود باعتبارهم شركاء فى هـــذا الوطن » (٥٩) •

لم يصدر وعد بلفور بالصيغة المتطرفة التى اقترحتها المنظمـــة الصهيونية • فقد أرادت الصهيونية أن يشتمل الوعد على نص باعادة فلسطين لليهود باعتبارها الوطن القومى الخاص بهم وحـــدهم دون سواهم ومع ذلك فان الوعد فى صورته التى صدر بها حقق للصهيونية هذه الأمنية لأنه سلب الكثرة العربية فى فلسطين حقوقها السياسية المشروعة ووصفها بالطوائف غير اليهودية ، وامتن عليهم بالقـــول أن حقـــوقهم المدنية والدينية لن تضار ، وصمت صمتا تاما عن حقـــوقهم السياسية •

واذا كانت الصهيونية لم تظفر بالصيغة التى كانت ترجوها لوعد بلفور فقد عبأت كل طاقاتها ومواردها لاعداد وثيقة الانتداب على النحو الذى يحقق أهدافها فى فلسطين وشرعت فورا فى ايفاد لجنـــة الى فلسطين للتمهيد لتنفيذ السياسة الرامية الى انشاء الوطن اليهـــودى وقررت الحكومة البريطانية فى مطلع عام ١٩١٨ تشكيل اللجنة برياسة وايزمان وعضوية البروفسير « Sylvin Levi » رئيس الحلف الاسرائيلى المناوىء للصهيونية وجيمس روتشيلد وجوزيف كوين ودافيـــد ايدر و « Levi Bianchini » من ايطاليـــا وليون سيمون واسرائيل ســـيف

---

(٥٩) Hearing, op. cit. p. 40

وقبلت اللجنة على مضض « البروفسير ليفى » الذى اختارته الحكومة الفرنسية •

يحدثنا رونالد ستورز الحاكم العسكرى لمدينة القدس فى تلك الفترة عن دهشته لقدوم هذه اللجنة الى فلسطين فى وقت لم يتحدد فيه بعد مصير البلاد فيقول : « لقد اطلعت على برقية تلقاها كلايتون فى أوائل شهر مارس عام ١٩١٨ عن قدوم لجنة صهيونية من كبار اليهود لتكون حلقة وصل بين اليهود فى فلسطين والادارة العسكرية البريطانية وعجبت وعجب كلايتون معى من هذا التعجل وتساءلنا ألم يكن من الأجدى تأجيل زيارة هذه اللجنة حتى يتقرر مصير ادارة القطر بشكل أوضح ؟ ولكنها أوامر لابد من تنفيذها » (٦٠) • ويذكر ستورز أنه استقبل اللجنة غداة وصولها مدينة القدس وأن اللجنة كانت تحت رعاية الحكومة البريطانية وأن وايزمان خاطب جمعا من أهل مدينة القدس قائلا ان اليهود لم يتخلوا قط عن حقوقهم فى فلسطين وأنهم اخوة للعرب تجمعهم بهم أواصر القربى وأن اليهود عائدون فقط الى بلادهم وهم ليسوا غرباء عنها ، ثم حذر وايزمان العرب من الاستماع الى الدعاية المغرضة التى تروج أن للصهيونيين مطامع فى السلطة السياسية أو أنهم ساعون اليها (٦١) •

ان وايزمان الذى أدلى بهذه الأحاديث المسئولة لعرب فلسطين عام ١٩١٨ هو نفسه الذى قال :

« ان الذين أصدروا وعد بلفور لم يفكروا قط أن يتقرر مصير فلسطين والعرب يمثلون الكثرة الغالبة ، ولكن يمكن تقرير المصير عندما تصبح لليهود الكثرة العددية » وقال فى موضع آخر من مذكراته : « ان مجلس الحرب البريطانى لم يهدف الى قيام دولة يهودية فورا فى فلسطين دون استشارة أهل البلاد ولكن اذا استجاب اليهود للهجرة وأصبحت لهم الكثرة العددية فيما بعد فان فلسطين سوف تصبح وطنا

---

(٦٠) Storrs, The Memoirs of Sir Ronald pp. 359—360

(٦١) Storrs, op. cit. p. 360

يهوديا • هذا ولم يفكر المسئولون البريطانيون فى تقييد الهجرة بحيث يصبح اليهود فى فلسطين قلة دائمة » (٦٢) •

ويحدثنا ستورز عن سلوك اللجنة الصهيونية فى فلسطين التى كانت تتصرف كأنها هى الحاكمة ، اذ قامت بدفع اعانات مالية لرجال الشرطة والموظفين الصهيونيين فى الادارة البريطانية كما قامت اللجنة بتوجيه عمدة مدينة القدس أن يوظف اليهود فى تشييد الطرق وهـذا يعنى — فى رأى ستورز — اعفاء العمال العرب من الأعمال التى كانوا يقومون بها (٦٣) وعندما غادر ستورز مدينة القدس الى حيفا لانجاز بعض الأعمال وعاد الى القدس بعد فترة قصيرة علم من القائم بأعماله أن اللجنة الصهيونية اتصلت بسكرتيره اليهودى وطلبت منه تقريرا عن عمل المكتب وذلك أثناء غياب ستورز وكان هذا السكرتير على صلة سابقة بوايزمان (٦٤) •

كان سلوك اللجنة الصهيونية فى فلسطين مبعث حرج للمسئولين البريطانيين هناك فقد كانت مهمة هؤلاء المحافظة على الوضع القائم فى فلسطين حتى يتم تقرير مصير البلاد بصفة رسمية ولكن وايزمان كان يريدهم أداة طيعة يسخرها لتنفيذ البرنامج الصهيونى فورا لا سيما بعد أن تقدم الى الحكومة البريطانية بمطالب عاجلة للتنفيذ فى فلسطين ولكن الحكومة وجهت نظره الى الصعاب التى تكتنف تلك المطالب (٦٥) وكان وايزمان يطالب بحيازة الخط الحديدى بين يافا والقدس والحصول على المستعمرات الألمانية فى فلسطين وفتح باب الهجـرة لليهود الى فلسطين واستقرارهـم فيها وتحويل الأراضى غير المستغلة للمنظمـة الصهيونية ومنحها امتياز ادارة المرافق العامة من مياه وكهرباء وخدمات

---

(٦٢) Weizmann, op. cit., p. 266

(٦٣) Ronald Storrs : Laurence of Arabia, Zionism and Palestine, Penguin, U.K. 1941, p. 52

(٦٤) Storrs, op. cit., pp. 51 — 52

(٦٥) Sir L. Mallet to Dr. Weizmann Enc. 2 in 212, July, 1, 1919 . Woodward and Butler, D.O.B.F.P. Vol. 4, pp. 306 / 7 .

الهاتف والبرق [٦٦] وصب وايزمان جام غضبه على جميع المسئولين البريطانيين فى فلسطين ابتداء من الجنرال اللنبى وتقدم بشكاة الى الحكومة البريطانية قال فيهـا ان الادارة العسكرية البريطانيـة فى فلسطين تبدى لليهود روحا عدائية واضحة وتغتنم كل فرصة للاضرار بمصالحهم والاساءة اليهم بينما يقوم هؤلاء المسئولون بتشجيع العرب ضد اليهود ، واتهم وايزمان الجنرال كلايتون بالضعف فى معالجة الموقف ووصف اللنبى بأنه مشغول بالقضية المصرية والمسألة السورية الى الحد الذى صرفه عن الاهتمام بأمر فلسطين أما « المقدم ستورز » فنال أوفى نصيب من التهم التى كالها زعيم الصهيونية للادارة البريطانية وهدد وايزمان الحكومة البريطانية بأن برانداييس فى طريقه الى فلسطين وأنه سوف يطلع على الحقائق بنفسه وعندئذ سيكون الأثر فاجعـا للرأى اليهودى — الأمريكى [٦٧] !! .

أما وثيقة الانتداب على فلسطين التى أجازها مجلس عصبة الأمم وأصبحت نافذة منذ ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ فقد أعدتها المنظمة الصهيونية وهى فى جوهرها تمثل وجهة النظر الصهيونية رغم التعديلات الشكلية التى أدخلت عليها قبل اجازتها فى صورتها النهائية . ومن ثم فان القول بأن مجلس عصبة الأمم هو الذى حدد شروط الانتداب على فلسطين[٦٨] ليس صحيحا ، الا اذا كان المقصود بالتحديد الموافقـة على الشروط التى وضعتها المنظمة الصهيونية بعد اخضاعها لبعض التعديل الشكلى.

---

(٦٦) Dr. Weizmann to Sir L. Mallet, Enc. 1 in 212, Delegation Sioniste, Paris, June 18, 1919.

Woodward and Butler, op. cit., pp. 303 — 305

(٦٧) No. 213 Note by Sir R. Graham of Gonversations with Mr. Samuel and Dr. Weizmann 98082/2117/44, Foreign Office, July 2, 1919 Woodward and Butler op. cit., pp. 307—308.

(٦٨) Treaty Series No. 54 (1925) Convention Between United Kingdom and the United State of America Respecting the Rights of the Two Countries and Their Respective Nationals in Palestine, Signed, at London, Dec. 3, 1924, p. 2 . H.M.S.O., London, 1925.

ففى شهر يوليو عام ١٩١٩ فوض مستر بلفور المختصين فى الادارة السياسية للوفد البريطانى فى مؤتمر الصلح فى باريس وعلى رأسهم « Eric Forbes Adam » أن يبحثوا مع وايزمان وفرانكفورتر وكوهين ، وهم يمثلون المنظمة الصهيونية ، مشروع وثيقة الانتداب على فلسطين وقد أعدت هذه الادارة مشروعا تمهيديا استندت اليه المنظمة الصهيونية فى اعداد مشروعها الخاص للانتداب وأهم ما نلاحظه فى مقترحات المنظمة الصهيونية التى قدمها « Ben V. Cohen » فى ٢٤ سبتمبر عام ١٩١٩ أنها أكدت العلاقة التاريخية بين اليهود وفلسطين التى تخول لليهود المطالبة باعادة بناء فلسطين باعتبارها وطنهم القومى وليست مجرد وطن قومى (٦٩) وهذا ما لم تستطع المنظمة الصهيونية أن تظفر به فى وعد بلفور ، بل كانت المنظمة تسعى الى النص على تأكيد ما سمته « بالحقوق التاريخية » لليهود فى فلسطين بدلا عن « العلاقة التاريخية » !! وقد أجازت عصبة الأمم النص الذى اقترحته المنظمة الصهيونية ليصبح مقدمة لوثيقة الانتداب ، كما أجازت المادة الرابعة التى أعدتها وصاغتها المنظمة الصهيونية وهى تتعلق بانشاء الوكالة اليهودية فى فلسطين والاعتراف بها • وبما أن وعد بلفور اقتراح صهيونى أصلا ونصا رغم ما أجرى فيه من تعديل طفيف فى الصياغة فان المادة التى أدرج بموجبها فى وثيقة الانتداب (المادة الثانية) تعتبر أيضا من وضع المنظمة الصهيونية وينطبق ذلك بالمثل على المادة السادسة من وثيقة الانتداب (تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين) لارتباطها بانشاء الوطن اليهودى وتمثل المواد الثلاث المذكورة ، بالاضافة الى الديباجة أهم المرتكزات التى بنيت عليها وثيقة الانتداب على فلسطين (٧٠) • بل يرى وايزمان أن الديباجة كانت أهم فقرة على

---

(٦٩) No. 299 Memo, By Mr. Forbes Adam (Paris) 385/3/3/19140, September, 26, 1919 Woodward and Butler, op. cit., p. 428.

(٧٠) راجع مشروع المنظمة الصهيونية لوثيقة الانتداب ومشروع الوفد البريطانى فى :

Appendix to No. 299, Chapter V, Palestine Mandate, Woodward and Butler op. cit., pp. 429 - 438.

الاطلاق فى وثيقة الانتداب [٧١] ، وكانت تلك الوثيقة بمثابة الدستور الذى اهتدت به الادارة البريطانية فى حكم فلسطين واستند اليها كتاب الصهيونية فى ايهام الرأى العام العالمى أن الصهيونية انما استمدت حق السيادة على فلسطين بموجب الانتداب وهو وثيقة دولية !! وفى ذلك يقول فرانكشتاين « انه لا يحق لأحد غير اليهود ادعاء السيادة على فلسطين بعد اجازة وثيقة الانتداب — لأن أصحاب السيادة السابقين على فلسطين قد انقرضوا أو تخلوا عن حقوق السيادة كما فعلت تركيا بمقتضى المادة ٣٦ من معاهدة لوزان ١٩٢٣ » [٧٢] وقد رأينا أن وثيقة الانتداب كانت من وضع المنظمة الصهيونية كما أن تركيا لم تتخل عن سيادتها على فلسطين للمنظمة الصهيونية • ويوضح أحد رجال القانون الدولى الدكتور محمد طلعت الغنيمى الموقف بصورة أكثر جلاء فيقول « ان سببين من أسباب فقد الاقليم فى القانون الدولى قد توافرت بالنسبة لليهود حيال فلسطين ألا وهما : (١) الترك ، (٢) التقادم المسقط • أما حق العرب فهو التقادم المكسب وهو اكتساب الملكية بوضع اليد المدة الطويلة » [٧٣] • ويقول عن الانتداب « ان نظام الانتداب لا يترتب عليه زوال السيادة عن شعب الاقليم الخاضع للانتداب بل ان هذه السيادة بقية للشعب المذكور وأن كل ما للدولة المنتدبة بالنسبة للأقاليم التى سلخت عن تركيا هو تقديم المعونة والنصح فحسب » [٧٤] •

ولكن قبل بدء نفاذ الانتداب كان هربرت صمويل يمارس سلطاته بعد تعيينه مندوبا ساميا على فلسطين وقد تسلم ادارة البلاد رسميا فى أول يوليو عام ١٩٢٠ ليواجه شعب فلسطين الثائر بعد أن استنفد كافة الوسائل السلمية لاسترداد حقه المشروع وأخذت الثورات تتفجر

---

(٧١) Weizmann, op. cit., p. 348.

(٧٢) Ernst Frankenstein Palestine in the Light of International Law, London 1946 p. 13.

(٧٣) محمد طلعت الغنيمى : قضية فلسطين أمام القانون الدولى ، الاسكندرية ١٩٦١ ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٥ .

(٧٤) الغنيمى : المصدر نفسه ص ١٠١ .

الواحدة تلو الأخرى وشرع صناع وعد بلفور فى حصاد ما غرست أيديهم وكلما اندلعت ثورة عربية فى فلسطين هبت الحكومة البريطانية لتتقصى الحقائق بتشكيل لجان للتحقيق فيما كانت تسميه الاضطراب وحوادث الشغب •

بدأت الحوادث فى عهد الجنرال « Louis Bols » عندما كان العرب يعتزمون الاحتفال بمناسبة دينية فى ٤ ابريل ١٩٢٠ وأسفرت المعركة عن ستة قتلى من اليهود وصاح وايزمان : انها مذبحة منظمة « Pogrom » بل سماها المذبحة الأولى تحت العلم البريطانى [٧٥] ، ليعيد الى ذهن القارىء فكرة اضطهاد اليهود والمذابح التى عرفوها فى روسيا القيصرية وربما كان غرض وايزمان من هذا النواح استدرار العطف على اليهود باعتبار أن حوادث ٤ ابريل سنة ١٩٢٠ كانت امتدادا لموجة اضطهاد اليهود فى مسرح جديد هو الوطن العربى ولكن تقرير لجنة التحقيق التى شكلت لمعرفة الحقيقة لم يؤيد وايزمان بل يحدثنا فيليب جريفز المراسل لجريدة التايمز فى فلسطين أن تقرير اللجنة لم ينشر لأنه كان ينقد المنظمة الصهيونية نقدا لاذعا وينتقد سلوك بعض الضباط البريطانيين[٧٦] وتوالت الأحداث الدامية بين عامى ١٩٢٠ و١٩٢٤ معبرة عن استنكار الشعب العربى فى فلسطين للسياسة البريطانية والتسلط الصهيونى فكانت اضطرابات يافا الأولى (أول مايو ١٩٢١) واضطرابات القدس الثانية (٢ نوفمبر ١٩٢١) وحوادث يافا الثانية (مارس ١٩٢٤) [٧٧] وكان من نتائج ثورة مايو ١٩٢١ فى يافا تشكيل لجنة قضائية للتحقيق برياسة القاضى البريطانى توماس هايكرافت « T. Haycraft » وقد جاء فى تقرير اللجنة أن رغبة الصهيونية فى السيطرة [٧٨] على فلسطين كانت سببا واضحا لاثارة العرب وأيدت هذا القول لجنة التحقيق فى حوادث أغسطس عام ١٩٢٩

---

(٧٥) Weizmann, op. cit., p. 324.

(٧٦) Philip Graves, op. cit., pp. 60 — 61.

(٧٧) انظر تفاصيل هذه الحوادث فى : امين سعيد — الثورة العربية الكبرى ج ٣ ص ٨٨ — ٩٨ •

(٧٨) Weizmann, op. cit., p. 349.

برياسة السير والتر شو فذكرت فى تقريرها أن السبب الأساسى للاضطراب عداوة العرب لليهود بسبب خيبة آمالهم وعدم تحقيق أمانيهم السياسية والقومية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادى (٧٩) .

وكان من نتائج أحداث مايو ١٩٢١ القرار الذى اتخذه هربرت صمويل وأعلنه على ملأ من أعيان العرب فى الرملة وهو يقضى بايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين وقد وصف وايزمان هذا القرار وطريقة اعلانه بأنه كان صدمة لليهود فى كل مكان (٨٠) .

لقد ساعدت حوادث سنة ١٩٢١ وتقرير لجنة « Haycraft » وعودة اللورد « Northcliff » « A. C.W. Harmsworth » بعد زيارة قصيرة لفلسطين ، على ايضاح بعض الحقائق للرأى العام البريطانى عن قضية فلسطين اذ كانت دار النشر التى يملكها اللورد نورثكليف أكثر دور النشر نجاحا فى تاريخ الصحافة البريطانية (٨١) ، وبعد عودته من فلسطين قامت الصحف التى يصدرها ومنها « الديلى ميل » و « والايفنج نيوز » بحملة ضد الصهيونية ونادت بالغاء وعد بلفور وكان اللورد نورثكليف يرى أن الصهيونية خطر على الامبراطورية البريطانية وأنه من الجنون أن تثير بريطانيا قلق خمسين مليونا من المسلمين فى سبيل ارضاء خمسمائة ألف يهودى (٨٢) .

ولكن البيان الذى أصدرته الحكومة البريطانية — بيان المستر تشرشل — فى حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٢ أكد عزم الحكومة على السير فى سياستها الخاطئة ازاء فلسطين ولم تر الحكومة البريطانية فى كل ما حدث سوى توتر ناجم عن سوء فهم لوعد بلفور !! يقول البيان :

---

(٧٩) تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التى وقعت فى شهر آب (أغسطس) ١٩٢٩ الترجمة الرسمية : مطبعة دير الروم — القدس ١٩٣٠ ص ١٩٧ — ٢٢٠ .

(٨٠) Weizmann, op. cit., p. 342.

(٨١) The New Encyclipaedia Britannica Micropaedi, 1976, Vol. 7, p. 401

(٨٢) Weizmann, op. cit., p. 351

« ان التوتر الذى ساد فلسطين من حين الى آخر يعزى معظمه الى مخاوف أخذت تساور بعض طبقات السكان العرب واليهود • أما مخاوف العرب فبعضها مبنى على تفاسير مبالغ فيها لمعنى التصريح الذى أعطى بالنيابة عن حكومة جلالته فى اليوم الثانى من شهر تشرين الثانى والذى يحبذ انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين • ذلك أنه نشرت بيانات غير رسمية بأن الغاية المنشودة هى جعل فلسطين يهودية برمتها واستعملت عبارات قيل فيها « ان فلسطين ستصبح يهودية كما ان انكلترا انكليزية [٨٣] فحكومة جلالته تعتبر هذه الآمال غير قابلة للتحقيق وتعلن بأنها لا ترمى الى مثل هذه الغاية » [٨٤] ثم يمضى البيان مؤكدا التزام الحكومة البريطانية بوعد بلفور وزيادة عدد الطائفة اليهودية فى فلسطين بالهاجرة [٨٥] •

ان بيان المستر تشرشل يثير العجب والرثاء معا لأنه يؤكد أن الحكومة البريطانية لم تع الدرس بعد •

لقد زار هربرت اسكويث رئيس الوزراء البريطانى الأسبق فلسطين فى شتاء سنة ١٩٢٤ وأدلى عقب عودته بحديث يجعل بيان شرشل احدى سخريات هذا القرن قال اسكويث « ان العرب يمثلون ثلاثة أرباع سكان فلسطين ويبلغ عدد اليهود نحو عشر السكان ووصف القول بتحويل فلسطين الى وطن قومى لليهود بأنه لا يعدو أن يكون خيالا جامحا كما كان دائما » [٨٦] ولكن وايزمان يشكك فى صحة النتائج التى خلص اليها اسكويث من زيارته لفلسطين استنادا الى أن بلفور قد زار فلسطين أيضا بعد اسكويث ببضعة أشهر واستخلص

---

(٨٣) هذا التعبير من ابتكار وايزمان فى تعريفه لمعنى الوطن اليهودى فى فلسطين وقد ذكره مرارا فى مذكراته كما أكده لوزير الخارجية الامريكية روبرت لانسنج فى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ انظر :
Trial and Error P. 305

(٨٤) بيان الخطة السياسية فى فلسطين الذى أصدره مستر تشرشل فى حزيران سنة ١٩٢٢ ، الذيل الخاص لتقرير لجنة وانتر شو للتحقيق عن اضطرابات آب ١٩٢٩ ص ٢٦٥ •

(٨٥) المصدر السابق ص ٢٦٧ — ٢٦٨ •

(٨٦) Weizmann, op. cit., pp. 193 — 194

نتائج تختلف تمام الاختلاف [٨٧] • ويعنى وايزمان أن بلفور عاد من فلسطين وهو أكثر ايماناً بانشاء الوطن القومى لليهود فيها ، وفى هذا القول اشارة الى ما ذكره بلفور لوايزمان بعد انتهاء الزيارة بأنه « كان سعيدا بوجه خاص أن يرى المستعمرات اليهودية المزدهرة التى تنهض دليلا على سلامة وقوة الوطن القومى النامى » [٨٨] ولكن الميجر بولسون نيومان المراسل الحربى الخاص للصحف البريطانية فى القدس والذى شهد زيارة بلفور لفلسطين عام ١٩٢٥ يعطينا صورة تختلف تماما عن تقرير وايزمان • يقول مستر نيومان : ان بلفور وصل اللد فى ٢٥مارس ١٩٢٥ يرافقه وايزمان وسوكولوف ومندوب عصبة الأمم فقابله العرب بالمقاطعة وتظاهر ضده الطلاب • وأعلن الاضراب العام فى جميع أنحاء فلسطين وكان اضرابا ناجحا وأوصدت المتاجر أبوابها وظهرت الصحف العربية مجللة بالسواد ورفعت الأعلام السوداء احتجاجا على السياسة البريطانية الموالية للصهيونية وأقيمت الصلوات فى مساجد المدن الكبيرة كلها وندد الخطباء فى المساجد بالصهيونية ودعوا الى الاتحاد لمقاطعة وعد بلفور وعمت المظاهرات الأقاليم فامتدت الى نابلس والخليل• وكان بلفور يتحرك فى فلسطين تحت الحراسة المسلحة واستقبلته دمشق بالمظاهرات الصاخبة والهتاف العدائى ، وحاصرته الجماهير العربية فى فندقه ، ورمته بالحجارة ،وقال نيومان : ان الناظر من نافذة الفندق كان لا يرى غير بحر من الطرابيش الحمراء [٨٩] •

لقد رافق نيومان مستر بلفور فى كل تحركاته فى فلسطين وسوريا ووصف نشاط بلفور واشتراكه فى الاحتفالات الصهيونية خاصة الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية فى أول ابريل سنة ١٩٢٥ وقد أبدى نيومان حسرته على سذاجة بلفور وقال عنه انه غادر فلسطين دون أن يدرك حقيقة الموقف بل خرج بتصور خاطىء بعد أن قضى كل وقته مع

---

(٨٧) Weizmann, op. cit., p. 194

(٨٨) Weizmann, op. cit., p. 400

(٨٩) Major E.W. Polson Newman, The Middle East, London, 1926 P. 88

اليهود الصهيونيين ولم ير من الأماكن الا ما راق للصهيونيين أن يأخذوه اليها فلم ير فلسطين العربية ولم يعرف شيئا عن الحياة العربية هناك ولا عن المسألة العربية بل خرج مقتنعا بأن القضية العربية ليس لها وجود ، وهذا ما أدهش نيومان لأنه لم يتصور أن يكون رجل فى مكانة بلفور بهذا القدر من ضعف الادراك وقد كان رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية فى بريطانيا العظمى (٩٠) .

وهكذا أثبتت الصهيونية قدرتها على ربط مصلحتها فى فلسطين بمصالح الامبراطورية البريطانية واستغلال ظروف الحرب العالمية الأولى وضعف مركز الحلفاء فى عامى (١٩١٦ و ١٩١٧) لتحقيق مآربها حتى استطاعت فى أقل من ست سنوات (١٩١٤ — ١٩٢٠) أن تسترد أنفاسها وتدعم مواقعها فى وجه معارضة يهودية عاتية ، فحصلت على وعد بلفور وأملت شروط الانتداب على فلسطين وأمنت ظهرها بوضع هربرت صمويل على رأس حكومة الانتداب وألبست الوعد والانتداب معاً ثوبا كاذبا من الشرعية والالتزام الدولى بادراجهما فى ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة سيفرس التى تم التوقيع عليها فى ١٠ أغسطس عام ١٩٢٠ (٩١) .

* * *

(٩٠) Newman, op. cit., p. 88 — 89

(٩١) انظر :

Sevres Treaty, 1920 pp. 161 - 192. Allied Papers Library of Congress Ref. D. 643, T. 8 - 1920 (E).